قائلا يقول انا قايم نسميه متكلما وان لم نعلم انه الموجد لهذا الكلام بل وان علمنا ان موجده
هو الله تعالى كما هو راى اهل الحق وحينئذ فالكلام القايم بذات البارى تعالى لا يجوز
ان يكون هو الحسي اعنى المنتظم من الحروف المسموعة لانه حادث ضرورة ان له
ابتدا وانتها وان الحرف الثاني من كل كلمة مسبوق بالاول ومشروط بانقضائه
وانه يمتنع اجتماع اجزائه في الوجود وبقا شي منها بعد الحصول على ما تقرر
عندهم والحادث يمتنع قيامه بذات البارى تعالى لما سياتي فتعين ان يكون
هو المعنى اذ لا ثالث يطلق عليه اسم الكلام وان يكون قديما لما عرفت وثانيها
ان كل من يورد صيغة امر او نهي او ندا او اخبار او استخبار او غير ذلك يجد في
نفسه معاني ثم يعبر عنها بالالفاظ التي نسميها بالكلام الحسي وربما دل عليه
ايضا بالكتابة او الاشارة فتلك المعاني التي يجدها في نفسه وتدور في خلده
ولا تختلف باختلاف العبارات بحسب الاوضاع والاصطلاحات ويقصد المتكلم
حصولها في نفس السامع ليجرى على موجبها هي ما يسمى بكلام النفس
وحديثها وربما اعترف بها ابو هاشم وسماها بالخواطر ولا نزاع في انه شاع
فيما بين اهل اللسان اطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القايم بالنفس حتى كثيرا
ما يقولون في نفسي كلام وقال عمر رضي الله عنه يوم السقيفة زورت في
نفسي مقالة اريد ان اقدمها بين يدي ابي بكر القصة وقال الاخطل
ان الكلام لفي الفؤاد وانما ° جعل اللسان على الفؤاد دليلا ° وقد اجمعت الامة
وتواتر النقل عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام انه تعالى متكلم وفي التنزيل ويقولون
في انفسهم واذا ثبت ان البارى تعالى متكلم وانه يمتنع قيام الكلام الحسي بذاته
تعين ان يكون هو النفسي ولا يكون الا قديما لما تقرر واعترض على الوجه
الاول من جانب المعتزلة بانه لو كان المتكلم من قام به الكلام لما صح اطلاقه
حقيقة على المتكلم بالكلام الحسي لانه لا بقا له ولا اجتماع لاجزائه حتى يقوم بشي
ولو سلم فانما يقوم بلسانه لا بذاته وايضا لما صح قول اهل العرف الامير يتكلم
بلسان الوزير والجني بلسان المصروع ومن جانب الحنابلة بان المنتظم من
الحروف قد لا يكون مترتب الاجزا بل دفعيا كالقايم بنفس الحافظ وكالحاصل على
الورقة او في نحو الشمع من طابع فيه نقش الكلام وانما لزم الترتيب في التلفظ
والقراة لعدم مساعدة الالة فالقران الذي هو اسم للنظم والمعنى جميعا لا يمتنع
ان يكون قديما بذات البارى تعالى بهذا الاعتبار والجواب عنهما ان
كون المتكلم من قام به الكلام ثابت عرفا ولغة كما مر فكون المنتظم من الحروف
المسموعة المترتبة الاجزا الممتنع البقا الغايب ضرورة متعذرا لمنعه توجيه اما الاول
فلان المعتبر في اسم الفاعل وجود المعنى لا بقاؤه سيما في الاعراض السيالة كالتكلم

بنتم الكبير والعز

والتكلم

١١٨

والتكلم ولو سلم فيكفي التلبس ببعض اجزائه ولا يشترط القيام بكل جزء من اجزا
المحل كالسامع والباصر والذايق وغير ذلك ومعنى التكلم بلسان الغير القا الكلام
اليه مجازا واما الثاني فلان الكلام في المنتظم من الحروف المسموعة لا في الصورة
المرسومة في الخيال او المخزونة في الحافظة او المنقوشة باشكال الكتابة على ان
قيام الحروف والاصوات بذات الله تعالى ليس بمعقول وان كانت غير مترتبة
الاجزا كحرف واحد مثلا واعترض على الوجه الثاني بان ذلك المعنى الذي يجده
الامر والناهي والمخبر والمستخبر في نفسه يجوز ان يكون هو العلم بتلك الاحوال
او ارادتها واجيب بان مغايرة ذلك المعنى للعلم والارادة سيما في الاخبار والانشا
الغير الطلبي في غاية الظهور نعم قد يتوهم ان الطلب النفسي هو الارادة
وان قولك اريد منك هذا الفعل ولا اطلبه في نفسي او اطلبه ولا اريده تناقض
وما يجي في فصل الافعال واستدلال القوم على مغايرته للعلم بان الرجل قد يخبر
عما لا يعلم بل يعلم خلافه وللارادة بان السيد قد يامر العبد بالفعل ويطلبه منه
ولا يريده وذلك عند قصد اظهار عصيانه وعدم امتثاله لاوامره لمن لامه على
تاديبه وفي شرح المواقف انه اعترض على هذا الوجه بان الموجود في هذه الصورة
صيغة الامر لا حقيقته اذ لا طلب فيها اصلا كما لا ارادة قطعا انتهى
واجيب بان الامر فيها تعبير عن الحالة الذهنية والانكار لها مكابرة ورد عليه
بان اللفظ انما يعبر به عما دل عليه وضعا وهذه الصيغة موضوعة للطلب الحاصل
للمتكلم فان اريد انها قد عبر بها ههنا عما وضعت له فالمكابرة هو الاعتراف به
لا انكاره وان اريد انها ترجمة عن معنى الطلب فلا بد ان يكون متصورا له فذلك
المعنى المتصور له ليس له وجود عيني بالاتفاق ولا وجود ذهني عندنا فكيف
يعد كلاما نفسيا وان اريد انه ما لم يعرض له حالة باعثة على التلفظ بهذه الصيغة
لم يتلفظ بها فلا يلزم ان تكون تلك الحال كلاما نفسيا بل هي ارادة امر يفهم منه
المخاطب طلب المتكلم كما ذكره صاحب المواقف قال بعض الافاضل وهذا الكلام
بحذافيره عايد في صورة الاخبار عما ليس في النفس وعما يعلم خلافه انتهى اقول قد
ظهر مما مر ان مبنى وجه الاستدلال على ثبوت صفة الكلام له السمع وضرورة
الوجدان باطلاق المتكلم عليه تعالى ووجود تلك المعاني المترجم عنها في النفس
والمعتمد هو السمع فقط على ما سنشير اليه بعد واما ضرورة الوجدان فقد رد
اعتبارها بانه اعتماد في اثبات قضية كلية على وجدانيات ومحسوسات
جزئية وهي انما تؤخذ من احكام الاله فلا تؤخذ احكامه منها والا لزم
الدور وبعضهم تمسك على ذلك بالدليل العقلي على قياس ما سبق في السمع والبصر
وهو ان عدم التكلم ممن يصح اتصافه بالكلام اعني الحي العالم القادر نقص واتصاف